



أفكار المستشرقين حول جماليات اللغة العربية

Orientalist ideas about the aesthetics of the Arabic language

أ. بوزيد دحمان*، جامعة تلمسان، الجزائر. البريد الإلكتروني: dahmanefr328@gmail.com

أ. د. غيتري سيدي محمد جامعة تلمسان، الجزائر. البريد الإلكتروني: ghitrism@gmail.com

المخبر، مخبر المعالجة الآلية للغة العربية

تاريخ المقال

الإرسال: 2022/07/06 القبول: 2023/04/09 النشر: 2023/06/19

الكلمات المفتاحية

ملخص البحث

اللغة العربية

الاستشراق

الأضداد

إن اللغة العربية من اللغات العالمية الكبرى تناولها كثير من الباحثين الذين وجدوا فيها من الجمال ما لم يجده في غيرها من اللغات. ومن صور الجمال التي تتميز بها اللغة العربية مسألة الأضداد التي أشار إليها الأنباري في كتابه (الأضداد) حيث بين أنها ذات دلالات جمالية. إلا أن بعض الناس يعتبرونها (أي الأضداد) دالة على النقص أي الضعف أو الخطأ في اللغة العربية فهي تعد بالنسبة إليهم ضعفا في هذه اللغة. إن هؤلاء الذين يهتمون العربية على هذا النحو يجهلون ويجهلون جمالياتها فهم كما يقول الأنباري أهل بدعة وأهل جور وأهل استهزاء. أن اللغة كلام والكلام قوة مؤثرة واللفظة منه لها معنى ولا توجد لفظة في هذه اللغة إلا ولها قوة ذات تأثير.

Abstract

The Arabic language is a universal language with the ability to be interpretable, this characteristic is almost unique to this language and has made it a subject of interest for orientalists and for Arab researchers. So they looked for its aesthetics and its secrets and they found in this language what they did not find in other languages since it is the language of the Koran. Researchers in this language have linked it to religion. The characteristics of this language are reflected in its letters and words, it is the most flexible of languages

Keywords

orientalists
The Arabic language
be interpretable

* المؤلف المرسل

أولاً: الحرف العربي دلالاته وجمالياته

اهتم كثير من الباحثين بجماليات الحرف العربي شكلاً ودلالةً ومن الذين كتبوا في هذا المجال المفكر الفرنسي الدكتور روني غينون.

● غينون وحرف النون

يقول الدكتور روني غينون عن حرف النون في اللغة العربية: "حرف النون يتشكل من نصف دائرة ونقطة هي مركزها نصف الدائرة هذا يمثل الفلك السابح فوق الماء والنقطة تمثل نواة الحياة أو بذرتها الكامنة في الفلك وموقعها يشير إلى رشيم الخلود أو النواة التي لا تصيبها التغيرات الخارجية. وأيضاً يمكن اعتبار نصف الدائرة هذا بتحدبه نحو الأسفل يمثل الكوكب أو القدر وهو مثله معنى الرحم الذي ينغلق على الرشيم الذي لم يتطور بعد والذي سيغدو النصف الأسفل أي الأرضي من بيضة العالم وتحت مظهر هذا العنصر السلبي للانتقال الروحي يبدو الحوت أيضاً صورة لكن فردية من حيث إن هذه الفردية تحمل رشيم الخلود في مركزها وهو الذي يتمثل رمزياً بالقلب" (روني غينون، 1991 صفحة 58-59).

والحوت في لغتنا العربية هو النون وذو النون هو

صاحب الحوت يونس عليه السلام الذي أخرجه الله تعالى من بطن الحوت وبعثه نشأة جديدة.

يقول الله تعالى {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ} (سورة القلم رقم 68 الآية 48)

وفي هذه السورة "سورة القلم" تستهل أول آية منها بحرف النون: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} (سورة القلم رقم 68 الآية).

يقول الله تعالى: { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

إن اللغة العربية من اللغات العالمية الكبرى تناولها كثير من الباحثين الذين وجدوا فيها من الجمال ما لم يجدوه في غيرها من اللغات.

ومن صور الجمال التي تتميز بها اللغة العربية مسألة الأضداد التي أشار إليها الأنباري في كتابه (الأضداد) حيث بين أنها ذات دلالات جمالية. إلا أن بعض الناس يعتبرونها (أي الأضداد) دالة على النقص أي الضعف أو الخطأ في اللغة العربية فهي تعد بالنسبة إليهم ضعفاً في هذه اللغة.

إن هؤلاء الذين يهتمون العربية على هذا النحو يجهلونها ويجهلون جمالياتها فهم كما يقول الأنباري أهل بدعة وأهل جور وأهل استهزاء.

إن اللغة كلام والكلام قوة مؤثرة واللفظة منه لها معنى ولا توجد لفظة في هذه اللغة إلا ولها قوة ذات تأثير.

لقد حاول ابن دريد في كتابه (الاشتقاق) أن يعطي لكل اسم ذكره دلالة واشتقاقاً فقام بشرح معاني الأسماء وبين أن لكل لفظة عربية معنى.

وهذا ما أكدته المستشرق الألمانية فيبكا فالتر بقولها "إن معنى أكثر الأعلام العربية في ذلك الوقت كما هو الآن مفهوم وذلك على خلاف معظم الأعلام في اللغات الأخرى" (حامد ناصر الظالمي 2016 ص 143)

وهذا ما يجعل اللغة العربية أكثر تداولية واتصالية من غيرها.

ففي اللغة الألمانية مثلاً كما تقول فيبكا فالتر "إذا اختار المانيان اليوم اسماً لطفلها فلا يفكران في معناه إلا نادراً جداً لأن معاني معظم الأسماء الألمانية ليست مفهومة بدون استعمال معجم الأسماء" (فيبكا فالتر ص 208)

عشق يقول حامد ناصر الظالمي "وقرؤها قراءة عشق لا قراءة موظف يدرسها على مريض". (1)

ومن أولويات العشق اللغوي هنا نذكر الدكتور عثمان أمين الذي عشق العربية وعدها رمز الجمال الذي لم يعرف في لغات أخرى.

لقد كان الأستاذ عثمان أمين عارفا بلغات أخرى ولكن عشقه للغة العربية جعله يقول "و أن ما يجعل اللغة العربية أكثر مرونة من غيرها من اللغات الحية المعروفة هو أنها أكثر اللغات قبولا للاشتقاق" (عثمان أمين، 1975 ص 17)

إن الاشتقاق باب من الأبواب الواسعة في اللغة العربية تستطيع به أن تؤدي كل معاني التعبير على اختلافها.

يقول المستشرق البريطاني إدوارد وليم لاين "وبعد أن أنجزت بضع صفحات من تاج العروس بدأت عملي في الترجمة وتأليف كتابي هذا (أي القاموس) وهو باللغة الإنجليزية لم أتردد في النقل إلى الإنجليزية دون اللاتينية لأن اللغة الأخيرة ليست في السعة والثراء والغزارة كالعربية" (إدوارد وليم لاين، 2016 ص 14)

إن اللغة العربية ثرية في تعبيراتها دقيقة في جوانبها الحسية والعقلية يقول المستشرق رينه

مونبليزير عن الدلالات الحسية في اللغة العربية " يذهب بعض المؤلفين والصحفيين في الغرب إلى أن ذلك أحيانا يدعو إلى الدهشة والطرافة كان ترى مثلا أن معظم الألفاظ التي تدل على أشياء مثقوبة أو مستديرة هي مركبة على أوزان التأنيث على أن هذه الظاهرة لا تمضي بعيدا فإن جميع لغات العالم كانت في أصلها حسية أو هي ظلت كذلك" (رينيه مونبليزير، 1982 ص 97).

فاللغة العربية لغة فيها القابلية للتعبير سواء في الكلمة المفردة أو في نظمها مع غيرها من الكلمات.

سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (سورة الأنبياء رَقْم 21 الآية 87) العقاد لُغوي عاشق بالعربية وجمالياتها:

ومن الذين عاشوا هذا الشعور الجميل تجاه اللغة العربية عباس محمود العقاد الذي كتب في جمالياتها كتبها منها: (اللغة الشاعرة) و(أشتات مجتمعات في اللغة والأدب).

لقد كان العقاد لغويا عاشقا للعربية فهو: "مؤولا جماليا لبنية اللغة العربية عاش مرحلة التجلي مع اللغة" (1)

ومن عشقه للغة نراه يبحث عن ميزات وخصائص اللغة وخاصة في أصواتها قائلا:

«حرف الفاء هو نقيض حرف العين بدلالته عن الإبانة والوضوح: (فتح ، فضح ، فرح ، فلق ، فجر ، فسر...) فالفاء شفوي والعين حلقي حنجري فهو عميق» (عباس محمود العقاد)

ويقول في حرف الضاد: "و إن حرف الضاد خص بالشؤم يسم جبين كل لفظة بمكرهة لا يكاد يسلم منها اسم وفعل: (ضجر ، ضر ، ضير ، ضجيج ، ضوضاء) (عباس محمود العقاد)

أما عن حرف الحاء فيقول: "وحرف الحاء الذي يكاد يحتكر أشرف المعاني و أقواها: (حب ، حق ، حرية ، حياة، حسن، حركة، حكمة، حلم، حزم)

لقد كان العقاد عارفا للغة العربية متعمقا في أسرارها وجمالياتها فعشقها وكتب في خصائصها وجمالياتها.

ثانيا: الاشتقاق والمعدود في العربية الاشتقاق في اللغة العربية-

لقد برز كثير من الدارسين للغة العربية والعارفين بأسرارها وجمالياتها فأولوها تأويلا جميلا وقرأوها قراءة

يجيب العقاد على سؤاله هذا بقوله "إن الكلام مع الكثرة إنما يكون عن الجنس الذي يطلق عادة على العدد الكثير كلما جاوز هذا العدد بضعة أفراد قليلين إلى المئات والألوف" (عباس محمود العقاد) ثم يضيف "ونحن نتكلم عن رجال أفراد عندما نتكلم عن خمسة أو ستة أو عشرة (2)»...

النظام النحوي في اللغة العربية.

إن النظام النحوي في كل لغة له خصوصية لا تتوفر في لغة أخرى يقول المستشرق الفرنسي جيرار تروبو "لا شك أن النظام النحوي في كل لغة له أهمية كبرى لأن النظام النحوي يعبر عن بنية اللغة ويصوغ فكر الناطقين بها (1)».

إن هذا الاختلاف هو نتيجة اختلاف عقلي بين الأمم والجماعات لذلك يختلف النظام اللغوي والنحوي اليوناني عن العربي.

فلكل منهما خصوصية تعبر عن روح أصحابه وجماعته. يقول جيرار تروبو "ميز أرسطو في لغته ثمانية أقسام هي (الحرف، المجموع، الرباط، الفاصلة، الاسم، الكلمة، الوقعة، القول) وليس لقسم الحرف اليوناني قسم يقابله في النظام العربي.

لأن سيبويه لم يجعل حروف الهجاء قسما مستقلا في تقسيمه كما فعل أرسطو وكذلك ليس لقسم المجموع اليوناني قسم يقابله في النظام العربي لأن مفهوم المجموع المركب من حرف غير مصوت وحرف مصوت مفهوم صوتي يختلف عن مفهوم الحرف الساكن والحرف المتحرك الذي نجده عند سيبويه (2)».

ثم يضيف "أما قسم الاسم اليوناني فإنه يقابل قسم الاسم العربي غير أننا نجد فرقا بين القسمين لأن الاسم عند أرسطو لفظ له معنى يدل على شيء بيد أن الاسم

يقول المستشرق الروسي بيلكين صاحب كتاب (الكلمات المترادفة في العربية) "... فكلمة حرم العربية مثلا التي تعني المقدس أو البناء المقدس قد تكون هي أصل هرم المصرية التي تعني البناء المقدس" (ميخائيل حوين، 1901 ص 293)

وفي الاشتقاق أيضا خصص المستشرق كارل ستولتسي مقالا عن اشتقاق كلمة coffin وهي كلمة مأخوذة أصلا من اللغة العربية وفي هذا يقول "والذي أرجحه أن الكلمة مشتقة من العربية من كلمة كفن" (د غريغوري شربانوف، 1984، صفحة 171)

لقد سيطرت هذه اللفظة العربية و أثرت في لغات عديدة إذ يقول ستولتسي "الكلمة في الإنجليزية تعني التابوت ثم دخلت إلى الفرنسية ومنها إلى بعض اللغات الأخرى وأصبحت ذات معان جديدة". (المرجع نفسه، ص 171).

أما هذه المعاني فهي:

Koffer الألمانية ومعناها صندوق السفر.

Coia في اللغات السلافية ومعناها السلة.

Coffin وقد استعملت في الإنجليزية بمعنى تابوت بعد الحروب الصليبية عند الإنجليز والفرنسيين الذين أخذوا المعنى العربي من كلمة كفن.

جماليات المعدود في اللغة العربية

يرى الكثير من عشاق العربية أن جماليات المعدود تكمن في تأويله في اللغة العربية بين جمعه وإفراده ومن هؤلاء محمود العقاد الذي يرى أن المعدود حتى و أن كان مفردا فهو يشير إلى الجنس.

وفي هذا المقام يطرح العقاد السؤال التالي

كيف يقال خمسة رجال على صيغة الجمع ثم يقال خمسمائة رجل على صيغة المفرد

لذلك فقد اختارها الله تعالى لتكون لغة القران ووسيلة خطابه لنبيه الكريم.

ان النظام النحوي في كل لغة له خصوصية لا تتوافر في لغة أخرى. يقول المستشرق الفرنسي جيرار تروبو "لا شك ان النظام النحوي في كل لغة له أهمية كبرى ، لان النظام النحوي يعبر عن بنية اللغة ويصوغ فكر الناطقين بها ()"

إن هذا الاختلاف هو نتيجة اختلاف عقلي بين الأمم والجماعات لذلك يختلف النظام اللغوي والنحوي اليوناني عن النظام اللغوي والنحوي العربي فلكل منهما خصوصية تعبر عن روح اصحابه وجماعته وهذا ما يؤكد جيرار تروبو.

لقد ميز أرسطو في لغته ثمانية أقسام هي (الحرف ، المجموع، الرباط، الفاصلة، الاسم، الكلمة، الوقعة القول) وليس لقسم الحرف اليوناني قسم يقابله في النظام العربي لان سيبويه لم يجعل حروف الهجاء قسما مستقلا في تقسيمه كما فعل ارسطو وكذلك ليس لقسم المجموع اليوناني قسم يقابله في النظام العربي لان مفهوم المجموع المركب من حرف غير مصوت وحرف مصوت مفهوم صوتي يختلف عن مفهوم الحرف الساكن والحرف المتحرك الذي نجده عند سيبويه.

اما قسم الرباط اليوناني ف إنه لا يقابل إلا جزءا من قسم الحرف العربي لأن الرباط عند أرسطو لفظ خال من المعنى بيد أن الحرف عند سيبويه لفظ له معنى ويشتمل قسم الفاصلة اليوناني على الة التعريف والاسم الموصول ، وهما عند أرسطو لفظان خاليان من المعنى فليس لهاذا القسم قسم يقابله في النظام العربي لأن سيبويه يعد الاسم الموصول اسما غير تام يحتاج إلى صلة فيدخله في قسم الاسم كما يعد الة التعريف لفظا له معنى فيدخله في قسم الحرف.

عند سيبويه لفظ يقع على الشيء فهو ذلك الشيء بعينه () «

يؤكد الدكتور عثمان أمين هذا الاختلاف بين النظامين اليوناني العربي في اللغة العربية وغيرها من اللغات بذلك الاختلاف في العقلية بين الجانبين "فاللغة هي نتاج العقل فلا بد أن تنعكس عليها آثاره () «
إن اللغة نتاج العقل فلا بد أن تنعكس عليها آثاره (أي آثار العقل).

ولذلك فوجود فعل الكينونة في اللغات الأوروبية مهم وفي العربية لا وجود لهذا الفعل (فعل الكينونة) الذي لا تحتاجه .

يقول عثمان أمين "إن لغتنا في طبيعة بنيتها وتركيبها لا تحتاج الجمل الخبرية فيما إثبات أي ما يسمى في اللغات الغربية (فعل الكينونة) فنحن نقول في العربية على سبيل الإخبار فلان شجاع دون حاجة إلى أن نقول فلان هو الشجاع أو فلان موجود شجاعا ونقول كل إنسان فان دون الحاجة إلى أن نقول (كل إنسان يكون فانيا) أو (كل إنسان يوجد فانيا) أو (كل إنسان كائن فانيا)()» .

ومعنى هذا أن الإسناد في لغتنا العربية يكفي فيه إنشاء علاقة ذهنية بين الموضوع والمحمول او بين مسند إليه ومسند دون الحاجة إلى التصريح بهذه العلاقة نطقا أو

كتابة في حين ان هذا الاسناد الذهني لا يكفي في اللغات الأوروبية الا بوجود لفظ صريح يشير الى هذه العلاقة في كل مرة وهو فعل الكينونة ويسمى في تلك اللغات رابطة تربط بين الموضوع والمحمول اثباتا او نفيًا. ان للغة العربية مميزات جعلت منها لغة عظيمة بموسيقى الفاظها وروعة اسلوبها ودقة تعابيرها وغنى معانيها وسعة خيالها كل ذلك جعلها من أرقى لغات العالم وبالتالي مؤهلة لان تكون لغة عالمية انسانية

الألمانية مثلا، وهذا ما أكده المستشرق الروسي
"غريغوري شرباتوف».

فالاشتقاق في اللغة العربية أسلوب رئيس تنشأ به
الألفاظ الجديدة، جعل العربية غزيرة المفردات ثرية
المعاني والدلالات.

ومن خصائص اللغة العربية وجمالياتها، "نظامها
النحوي" الذي تميزت به عن غيرها من اللغات،
فالجملية العربية مثلا متنوعة وليست علي حال واحدة،
أما في اللغات الأوروبية فإنها تأخذ نسقا واحدا أي
اسمية فقط، الفاعل فيها يتقدم على الفعل، ولا يوجد
فيها جملا فعلية إلا ناذرا، وهذا من جماليات اللغة
العربية التي استهوت المستشرقين، فالجملة العربية
متنوعة (اسمية و فعلية).

هذه مجموعة من الأفكار التي أوردها المستشرقون
حول خصائص وجماليات اللغة العربية، فقد عرفوها
ودرسوها فنالت اعجابهم واهتمامهم.

المراجع

- (1) عثمان أمين (1975). ص: « . (17 مفهوم الجمال في اللغة العربية . « مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة جزء 35: سنة .:
- (2) إدوارد وليم لين (2016) . ص « . (14 دراسات استشرافية العدد 9 سنة.
- (3) حامد ناصر الظالمي 2016 ص (s.d). 143. «خصائص اللغة العربية وجمالياتها « في دورية دراسات استشرافية العدد 9 السنة.
- (4) د غريغوري شرباتوف « . (1984). دراسة لبعض مزايا الاشتقاق في اللغة العربية . « مجلة اللغة العربية القاهرة جزء 54 سنة p، ص. 171.
- (5) روني غينون (1991). صفحه « . (59-58 أسرار حرف النون . « مجلة التراث العربي دمشق عدد 44 السنة .

أما قسم الاسم اليوناني فإنه يقابل قسم الاسم العربي غير أن هناك فرقا بين القسمين لأن الاسم عند أرسطو لفظ له معنى يدل على شيء بيد أن الاسم عند سيويوه لفظ يقع على الشيء فهو ذلك الشيء بعينه. يؤكد الدكتور عثمان أمين على هذا الاختلاف بين اللغة العربية وغيرها من اللغات وخاصة الأوروبية للاختلاف في العقلية بين الجانبين لأن اللغة هي نتاج العقل فلا بد أن تنعكس عليها آثاره فتصبح متساوية مع الأصل الذي تصدر عنه ولذلك فوجود فعل الكينونة في اللغات الأوروبية مهم وفي اللغة العربية لا وجود لمثل هذا الفعل فهي لا تحتاجه.

خاتمة

إن اللغة العربية، هي اللغة الوحيدة التي تتميز بالمرونة والمطاوعة والاستيعاب، لذا أعجب بها كثير من المستشرقين، فبحثوا عن جمالياتها وعن النزعة الروحية الموجودة فيها.

ومن هؤلاء الباحثين في جماليات اللغة العربية المستشرق "روني غينون" الذي اهتم بجماليات الحرف العربي شكلا ودلالة، والمستشرفة الألمانية "فبيكا فالتر" التي بحثت في الأعلام العربية، فتأكدت بعد أن قارنت بينها وبين الأعلام في اللغات الأوروبية، أن معنى معظم الأعلام العربية مفهوم علي خلاف معظم الأعلام في اللغات الأخرى.

ومن هنا فاللغة العربية أكثر تداولية واتصالية من غيرها وخاصة من الألمانية، فهي ترى أن لكل لفظة عربية معنى بخلاف غيرها من اللغات.

ومن جماليات اللغة العربية التي نالت إعجاب كثير من المستشرقين، خاصية الاشتقاق، فهي أكثر اللغات السامية التي تتميز بمختلف أساليب الاشتقاق التي تؤدي بها اللغة دورا لا يستهان به في تنويع المعنى الأصلي للكلمة، وهذا ما لا يوجد في اللغات الآرية كاللغة

- (6) رينيه موبليزير (1982). ص « (197). الأعداد العربية ودلالاتها النفسية «مجلة التراث العربي عدد 11 سنة .
- (7) سورة القلم رَقْم 168 الآية. (s.d.). 48.
- (8) سورة القلم رَقْم 168 الآية. (s.d.).
- (9) سورة الأنبياء رَقْم 121 الآية. (s.d.). 87.
- (10) عباس محمود العقاد « (s.d.). أشتات مجتمعات في اللغة والأدب.»
- (11) عباس محمود العقاد « (s.d.). أشتات مجتمعات في اللغة والأدب » د ط دس ط ص. 43 :
- (12) عباس محمود العقاد « (s.d.). أشتات مجتمعات في اللغة والأدب » مرجع سبق ذكره ص. 43.
- (13) فيبكا فالترص « (s.d.). 208 أسماء الأعلام العربية. مجلة اللسان العربي مجلد 9 جزء 1.
- (14) ميخائيل حوين (1901) ص « (293). الدخيل في اللغة العربية «مجلة المشرق عدد 7 سن.
- (15) المرجع نفسه ص (s.d.). 171.